سي. أس. لويس (C. S. Lewis)

١٨٩٨-١٩٦٣م

كان كلايف ستاپلز لويس (Clive Staples Lewis)، أحدَ عمالقة الفكر في القرن العشرين، وأحدَ أكثر كُتَّاب عصره تأثيرًا. عملَ مدرِّسًا للأدب الإنكليزيِّ في جامعة أكسفورد حتَّى عام ١٩٥٤م حين اختيرَ في جامعة كامبردج بالتَّزكية لمنصب الأستاذيَّة في الأدب الإنكليزيِّ في فترتَي العصور الوسطى وعصر النهضة، وهو منصبٌ شغلَه حتَّى تقاعُدِه. كتبَ لويس أكثرَ من ثلاثين كتابًا، واصلًا بها إلى عددٍ كبير من القُرَّاء، وما تزال أعماله تجدُ ألوفًا جُدُدًا من القُرَّاء سنويًّا. من أهمِّ أعماله "**روايات عالم نارنيا**" *(The Chronicles of Narnia)*، و"**المحبَّات الأربع**" *(The Four Loves)*، و"**المسيحيَّة المجرَّدة**" *(Mere Christianity)*، و"**رسائل خُربُر**" *(The Screwtape Letters)*، و"**أدهشني الفرح**" *(Surprised by Joy)*، و"**قصَّة فقدان**" *(A Grief Observed)*، و"**معضلة الألم**" *(The Problem of Pain)* وجميعها متاحةٌ في العربيَّة من أوفير للطِّباعة والنشر.

المعجزات

المعجزات

هل كلُّ ما هو موجود مادَّة...
أم هناك ما هو أكثر؟

سي. أس. لويس

ترجمة: د.أوسم وصفي

أوفير
ophir

Miracles by C. S. Lewis © C. S. Lewis Pte Ltd. 1947
www.cslewis.com

Cover design and illustration by Kimberly Glyder.

Arabic Edition © 2021 by **Ophir Publishers & Printers.**

Published under license from the C. S. Lewis Company Ltd.

All rights reserved. No portion of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means – electronic, mechanical, photocopy, recording or any other – except for brief quotations in printed reviews, without prior permission of the publisher.

المعجزات

الطبعة العربيَّة الأولى ٢٠٢١م
حقوق الطبع محفوظة

أوفير للطباعة والنشر
ص.ب. ٣٠٦٢، عمَّان ١١١٨١، الأردن
هاتف: ٩٦٢ ٦ ٤٦٣ ٣٣٨١+
Email: info@ophir.com.jo
www.ophir.com.jo

رقم الإيداع: ٥٥١/ ١/ ٢٠٢١
ISBN 978-90-5950-282-6

جميع الحقوق محفوظة، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقلها، أو استنساخه بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

تصميم العنوان: الخطَّاط يعقوب إبراهيم

إهداء

إلى سيسيل ودافني هاروود

(Cecil and Daphne Harwood)

بين التلال يرقد هائلًا، نيزكٌ هوى كالبرق
وفوقه، عبر السنين، قد نمت طحالبُ خضر
تلامسه الريح والأمطار، يومًا فيومًا برفق
حتَّى غدت ملساء ناعمةً حافات ذلك الصخر

أبهذه السهولة تهضم الأرض الدنيا
جمرةً من لهيب الكون لاذعة
وتجعل من ضيف السماء العليا
ساكنًا لقرية إنكليزيَّة وادعة؟

ليس غريبًا أن تجد هذه الجمرات السائرة
في حضن أرضنا المكان الملائم
فعناصر الأرض المتعدِّدة الحاضرة
جاءتنا قديمًا من لهيب الفضاء الغائم
كلُّ ما للأرض كان يومًا في السماء
من نورِ شمسٍ قديمةٍ نازح
أو من نجم سافر في الفضاء
ملتحفًا بلهيبه اللافح

هكذا، فإن سقطت قطراتٌ تأخَّرت
من نارٍ من السماء إلى الأرض قد ذهب
يتشكَّل كما سابقًا تشكَّلت
أمطارٌ بهيجةٌ نورها كالذهب

سي. أس. لويس
أُعيدت طباعتها بتصريحٍ من مجلَّة "الوقت والمدّ" (Time and Tide)

المحتويات

تقديم	١٣
الفصل ١: نطاق هذا الكتاب	١٧
الفصل ٢: الطبيعانيُّون والفوق الطبيعيُّون	٢١
الفصل ٣: الصعوبة الكبرى التي تواجه الطبيعانيَّة	٣٣
الفصل ٤: الطبيعة والفائق للطبيعة	٥٧
الفصل ٥: صعوبة أخرى في الطبيعانيَّة	٧٣
الفصل ٦: إجابات عن الشكوك	٨٣
الفصل ٧: فصل عن المشتِّتات	٩٣
الفصل ٨: المعجزات وقوانين الطبيعة	١٠٩
الفصل ٩: فصلٌ لا ضرورة شديدة له	١٢٣
الفصل ١٠: "أشياء حمراء فظيعة"	١٣١
الفصل ١١: المسيحيَّة و"الدين"	١٥٥
الفصل ١٢: لياقة المعجزات	١٨١

الفصل ١٣: عن الاحتماليَّة ١٨٩
الفصل ١٤: المعجزة العظمى ٢٠٣
الفصل ١٥: معجزات الخليقة القديمة ٢٤٥
الفصل ١٦: معجزات الخليقة الجديدة ٢٦٥
الفصل ١٧: خاتمة ٣٠٣
ملحق ١: المقصود بكلمتي "الروح" و"روحيّ" ٣١١
ملحق ٢: عن "العناية الخاصَّة" ٣١٩

تقديم

عزيزي القارئ، أودُّ أن أنبِّهك إلى أنَّ هذا الكتابَ ليس للتسلية أو لتمضية الوقت، وليس كتابًا يمكن الاطِّلاع عليه فقط. إنَّك مُقدِمٌ على خَوض معركةٍ عقليَّة في كلِّ صفحة فيه- معركةٍ بين وعيك التقليديِّ وفهمك المسبَّق، وطرحٍ جديدٍ يقدِّمه كاتبٌ استثنائيٌّ مثَّلَتْ مؤلَّفاتُه نقطةَ تحوُّلٍ في حياة آلافِ القرَّاء حول العالم.

عاش سي. أس. لويس نفسُه أعمقَ المشاعر الإنسانيَّة، واختبر تحوُّلاتٍ جوهريَّةً في حياته، فأخذ على عاتقه في هذا الكتاب أن يعترِكَ مع فلسفة العلم والمذهب الطبيعانيّ، ويحاكِمَ موقفَه من تفسير الطبيعة ليَضعَه على طاولة التشريح البشريَّة. وفي هذا الإطار، نراه يستحضِرُ الموقفَ الراديكاليَّ لديفيد هيوم (David Hume) الذي أعلنَه إعلانًا مدوِّيًا: "لا يمكن أن تحصلَ أيَّةُ معرفةٍ إلَّا بالتجرِبة". وكان لهذا أثرٌ بالغٌ في التَّجريبيِّين من بعده.

سارَ لويس في هذا الكتاب- الذي أجزم أنَّه من أكثر مؤلفَّاته صعوبة، إن لم يكن أصعَبَها- على حدِّ السيف، سعيًا منه إلى الكشف عن العلاقات ما بين حقولٍ معرفيَّةٍ مختلفة، والوقوف على مذاهبَ وتفسيراتٍ متنوِّعة، يقدِّم كلٌّ منها موقفَه من العالم، ويفسِّر أحداثَه، ليُميِّز بينها وبين الفهم الذي يفسِّر جزءًا من هذا العالم بالاستِنادِ إلى حدثٍ يتجاوَزُ إمكانيَّات الطبيعة ومُعطَياتها الحسِّيَّة والتجريبيَّة، وهو حدث المعجزة.

يأتي مفهوم المعجزة من خارج الزمان والمكان، لكنَّه يحدُثُ فيهما ويُغيِّر في مجرياتِهما. ويترك الإنسانَ حائرًا أمام الموقف الذي عليه أن يتَّخذه أو يتبنَّاه في سعيه إلى فَهْم هذه الظاهرة. وهكذا يقفُ العقلُ حائرًا ما بين تعليلات الطبيعانيِّين والتجريبيِّين مع علمه بالمآخذ التي تشوبُ موقفَيهما، أو يستكينُ إلى القَولِ بحدوث المعجزات والتي لا يتوانى لويس نفسُه عن بيان هَشاشة بعض التفسيرات والمواقف التي تؤيِّدها، لا سيَّما على لسان بعض رجال الدِّين.

إنَّه يسعى إلى الوصول إلى الحقيقة، ويصطدم في أثناء ذلك بأنَّ للحقيقة مبحثًا ومذاهبَ، ويقودُ هذا إلى نظريَّاتٍ تقدِّم كلٌّ منها تصوُّرها لما يمكن أن يُعَدَّ حقيقة. إنَّ البحثَ هنا هو بحثٌ عن المعيار الذي يستقرُّ في ضَوئه الفهم والقبول في الأذهان.

ومن الواضح أنَّ هذا الكتاب يُثيرُ جَدَلًا داخليًّا ما بين المؤلِّف ومكوِّناته المعرفيَّة وموقفه الذي سيخلُص إليه. كما أنَّه يتقاذف القارئ

ما بين أمواج المواقف المتباينة معرِّيًا هَشاشة البُنى الداخليَّة لبعضها، والتجاوزات المنطقيَّة والأخلاقيَّة لبعضها الآخر، تاركًا إيَّانا أمام مسؤوليَّة اتِّخاذ القرار وتحديد الموقف. إنَّه يبحث في مشروعيَّة السؤال حول الوعي، وما إذا كان يمكن تحديدُ مَوطنِه في الإنسانيَّة. إنَّه يحاكم المذهب ولا يسائله، فإنْ كان يحمِلُ الصِّدق ويقود إلى الحقيقة، وجبَ عليه أن يقدِّم إجاباتٍ تَطالُ رغبة السائل، وتسدُّ رمق جوعه المعرفيّ. إنَّها ببساطة رحلةُ البحث عن الثابت في هذا العالم المتغيِّر. إنَّها تلك الجدليَّة الدائمة ما بين علاقة الذات المُدرِكة بالموضوع المُدرَك.

ولأُنبِئْك من الآن أنَّ في الكتاب من الصعوبة ما يجعلُك تعتقد أنَّ المحتوى غير مقبول، وفي هذه اللحظة وعند هذه النقطة تحديدًا أنصحُك بإعادة قراءة الفقرة؛ فإيَّاك والتوقُّف، استمرَّ في القراءة؛ لأنَّ سي. أس. لويس خبَّأ الإجاباتِ وتَرَكَ التوضيحات حتَّى الفصول الأخيرة.

د. رامي نفَّاع
دكتوراه في فلسفة العقل والإيمان

١

نطاق هذا الكتاب

يجب على من يسعون خلف النجاح أن يطرحوا الأسئلة المبدئيَّة السليمة.

أرسطو، **ما وراء الطبيعيَّات** *(Metaphysics)*، الجزء الثاني، القسم الثالث، النقطة الأولى

في حياتي كلِّها، قابلتُ امرأة واحدةً فقط ادَّعت أنَّها رأت شبحًا. والأمر المثير للاهتمام في هذه القصَّة، أنَّها لم تكن ممَّن يؤمنون بخلود النفس قبل أن ترى الشبح، وظلَّت كذلك حتَّى بعد أن رأته. وتقول إنَّه لا بدَّ من أنَّ الشبح كان وهمًا أو من صنع أعصابها المنهكة. من الواضح أنَّها قد تكون محقَّة؛ فأن ترى شيئًا ليس كأن تؤمن به.

لهذا السبب، فإنَّ السؤال عمَّا إذا كانت المعجزات تحدث أم لا تحدث، لا يمكن الإجابة عنه ببساطة من الخبرة الشخصيَّة. كلُّ

الأشياء التي من الممكن أن تُحسب معجزات هي في نهاية الأمر أشياءُ نستقبلها بحواسِّنا- أشياء تُرى أو تُسمع أو تُلمس أو تُشمُّ أو تُتذوَّق. وحواسنا، بطبيعة الحال، ليست بمنأى عن الخطأ. إذا بدا أنَّ شيئًا خارقًا للطبيعة قد حدث، فيمكننا دائمًا أن نقول إنَّنا كنَّا ضحايا لخداعٍ بصريٍّ أو وهمٍ عقليّ. وإذا كنَّا نتبنَّى فلسفة تستبعد الفائق للطبيعة، فهذا ما سنقوله دومًا. يعتمد ما نتعلَّمه من الخبرة المباشرة على نوع الفلسفة التي نستقبل بها هذه الخبرة. لذلك لا جدوى من أن نحتكم إلى الخبرة قبل أن نحلّ، قدر ما نستطيع، القضيَّة الفلسفيَّة.

إذا كانت الخبرة المباشرة لا يمكن أن تثبت حدوث المعجزيِّ أو تنفيه، فكم أقلُّ من ذلك يستطيع التاريخ! يعتقد كثيرٌ من الناس أنَّهم يستطيعون أن يقرِّروا ما إذا كانت معجزة ما قد حدثت في الماضي بفحص الأدلَّة بحسب "القواعد المعتادة للبحث التاريخيّ". لكنَّ هذه القوانين المعتادة لا يمكن أن نطبِّقها قبل أن نقرِّر أوَّلًا ما إذا كانت المعجزات ممكنة، وإذا كانت ممكنة، فما درجة احتماليَّتها؟ إذا كانت المعجزات مستحيلة، فإنَّه لا يمكن لأيِّ قدرٍ من الإثبات التاريخيِّ أن يُقنعنا. أمَّا إذا كانت ممكنة، لكنَّها ضعيفة الاحتمال جدًّا، إذًا وحده الدليل القابل للإثبات رياضيًّا هو القادر على إقناعنا. وحيث إنَّ التاريخ لا يقدِّم لنا هذه الدرجة من الإثبات لأيِّ حدث، فإنَّه لا يمكن للتاريخ أن يقنعنا بوقوع معجزة. لكن على الجانب الآخر، إذا لم تكن المعجزات بطبيعتها مستبعدة، فإنَّ الدليل الموجود سيكون كافيًا لإقناعنا أنَّ عددًا ليس

بالقليل من المعجزات قد حدث بالفعل. وهكذا، فإنَّ نتائج البحث التاريخيِّ تعتمد على الآراء الفلسفيَّة التي كُنَّا نعتنقها قبل حتَّى أن نبدأ بالبحث عن الدليل. إذًا، فالقضية الفلسفيَّة يجب أن تأتي أوَّلًا.

لنضرب مثالًا لما يحدث إذا أهملنا تلك المهمَّة الفلسفيَّة المبدئيَّة، واندفعنا نحو المهمَّة التاريخيَّة. في أحد كُتب التفسير المشهورة للكتاب المقدَّس، سنجد مناقشة حول التاريخ الذي كُتِبَ فيه الإنجيل الرابع. يقول الكاتب إنَّه يجب أن يكون قد كُتب بعد إعدام بطرس، لأنَّ هذا الإنجيل يذكر أنَّ المسيح تنبَّأ بإعدامه، ولأنَّ الكاتب يعتقد أنَّه "لا يمكن أن يُكتَب كتابٌ **قبل** وقوع الأحداث التي يشير إليها". بالتأكيد لا يمكن- إلَّا إذا كانت قد حدثت تنبُّؤات حقيقيَّة. وإذا كانت قد حدثت، فإنَّ طرح هذا الكاتب بشأن التاريخ يبطل. ولم يناقش الكاتب بتاتًا ما إذا كانت التنبُّؤات الحقيقيَّة ممكنة أم مستحيلة. إنَّه يحسب أنَّ عدم إمكانيَّة حدوث تنبُّؤات حقيقيَّة أمرًا مُسلَّمًا به (ربَّما بغير وعي). ربَّما كان محقًّا، لكن إذا كان كذلك، فهو لم يكتشف ذلك المبدأ بواسطة البحث التاريخيّ، بل جاء به وفرضه على العمل التاريخيّ، كأمرٍ معدٍّ مسبَّقًا. وإن لم يكن قد فعل ذلك، لما كان قد وصل إلى استنتاجه بشأن تاريخ كتابة الإنجيل الرابع. وهكذا، فإنَّ عمله سيصبح بلا فائدة لشخصٍ يريد أن يعرف **ما إذا كانت** التنبُّؤات ممكنة الحدوث أم غير ممكنة. يبدأ الكاتب العمل بعد أن كان قد أجاب بالفعل عن السؤال بالنفي، وعلى أُسُسٍ لم يتكلَّم معنا عنها.

هذا الكتاب مقصودٌ له أن يكون مقدِّمة فلسفيَّة للبحث التاريخيّ. وحيث إنِّي لست مؤرِّخًا، فلن أبحث في الأدلَّة التاريخيَّة للمعجزات المسيحيَّة. سيكون جهدي مُنصَبًّا على وضع قارئي في الموضع الذي يؤهِّله أن يفعل ذلك. فلا جدوى من الذهاب إلى النصوص قبل أن تكون لدينا فكرة حول إمكانيَّة حدوث المعجزات من الأساس واحتماليَّته. إنَّ من يفترضون أنَّ المعجزات لا يمكن أن تحدث، ببساطة يضيعون وقتهم بالبحث في النصوص؛ فنحن نعرف مسبَّقًا ما الذي سيصلون إليه، لأنَّهم بدأوا بافتراضٍ مسبَّق أنَّها غير ممكنة الحدوث.